الأنبياء . . ورعاية الأغنام
ثـم رعايـة البشريـة جمعـاء

يتفـاوت النـاس فـي هـذه الحيـاة الـدنيا فـي درجـاتهم ومناصـبهم وأعمـالهم وربمـا مـن كـان يعمـل فـي عمـل لـه وجاهتـه ومكانتـه بـين الناس ينظر إلـى غيره من الصنف الآخر بعين الازدراء والاحتقار والسخرية وهذا المنطق وهذه النظرة ليست صحيحة علي الإطلاق وكل عمل يرضـي الله ورسوله وكسبه حلال بـه ينـال الإنسـان أعلـي الـدرجات عنـد الله وكمـا قـال النبـي صـلى الله عليـه وسلم :**"إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلـوبكم-**، وكمـا أخبـر أيضـا:**"رب عبد أشعث أغبر لو أقسم علي الله لأبره-**.

رعي الغنم سمة الأنبياء:

بـالنظر إلـى أنبيـاء الله علـيهم الصـلاة والسـلام نـري أن الله قـد اصطفاهم واختارهم من بين الناس وبالرغم من ذلك بعثوا رعاة للغنم فمـن خـلال التعريـف بأنبيـاء الله بصـفة عامـة وبنبينـا بصـفة خاصـة نقول: إن الأنبياء رعاة للغنم.. رعي الغنم سمة الأنبياء.

روي البخـاري فـي صـحيحه أنـه صـلى الله عليـه وسلم قـال:**"مـا بعث الله نبياً إلا وقد رعي الغنم-** فقال له أصحابه: وأنـت يـا رسـول الله؟ قال:**"وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط-**.

والمتتبع لتاريخ الأنبياء يجد أن للغنم دوراً في هذا التاريخ:

قصه الفداء (إبراهيم وإسماعيل):

ما حدث من سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل بعد أن رأي في المنام أنه يقوم بذبح ولده إلا أن الله فداه بذبح عظيم، كبش نزل من السماء.. قال تعالى:{ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥} [الصافات: ١٠٤ - ١٠٥].

نبي الله وكليمه موسى:

فموسي عليه السلام وهو في الوادي المقدس المبارك المسمي (طوي) عند جبل الطور بسيناء حال المفاجأة الكبرى جري هذا الحوار كما في سورة طه:{وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨} [طه: ١٧ - ١٨].

موسى عليه السلام في (مدين) في شبه الجزيرة جهة الشمال بالقرب من خليج العقبة قبالة تبوك.

ولما ائتمر القوم بموسي وتوجه تلقاء مدين وقعت أحداث كان للغنم فيها نصيب، فقد سقي للمرأتين ثم دعي إلى بيت أبيهما الشيخ الكبير وانتهي الأمر بالزواج.

قال تعالى:{ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣} [القصص: ٢٣].

نبي الله داود وتصور الخصمان:

داود عليه السلام تصور عليه الخصمان مكان عبادته ليحكم بينهما في شركة لأحدهما تسع وتسعون نعجة والآخر نعجة واحدة، وأراد صاحب النصيب الأكبر أن يستأثر بالشركة كلها لنفسه فحكم

داود وعدل وبين عبرة الحياة.

قال تعالى:{قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾} [ص: ٢٤].

حكم داود وسليمان في الحرث التي نفشت فيه غنم القوم:

قال تعالى في سورة الأنبياء:{وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾} [الأنبياء: ٧٨]، انظر في ذلك قصص القرآن، صفوة التفاسير.

ولقد كان للرأي دور أساسي في التاريخ الإنساني ولا زال للأنعام ارتباطها الوثيق بحياة الإنسان.

قال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾} [يس: ٧١ - ٧٢].

مفهوم رعي الغنم في شخص النبي صلى الله عليه وسلم :

هل أتاك حديث راعي الغنم الصغير اليتيم؟ محمد بن عبد الله؟!

فقد ورث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن أبيه خمسة من الإبل، وقطيعا من الغنم، وجارية هي أم أيمن، وتلك ثروة - في عرف زمانها - ضئيلة إلا أن الله تعالى هيأ له الأسباب وعمل سيدنا محمد في رعي الغنم؛ إذ ما من نبي إلا وعمل برعي الغنم فإياك ثم إياك أن تنظر إلى أي إنسان في مهنه بسيطة وتقلل من شأنه ولا تحترمه.

الحكم والمقاصد من رعاية الأنبياء للغنم:

قمة التواضع فهم يتعاملون مع الحيوان ويرفقون به فمن باب أولي تواضعهم مع البشر ورفقهم به، قال صلى الله عليه وسلم :"**إن الله أوحي إليهم أن تواضعوا**- رواه مسلم.

يكسب أصحابها اليقظة دائماً حتى لا يعدو ذئب علي شاة منها والأنبياء عندهم اليقظة دائما ولاسيما نبينا صلى الله عليه وسلم .

الحرص علي المصلحة والصبر علي المشاق - فهي تحتاج إلى جهد جهيد فالمحافظة عليها ومن ذهابها يمنة ويسرة.

وفيها: أن البشر ليسوا علي عقل وفطنه واحدة فهم يتفاوتون في العقول وفي الاستجابة وسرعة الإيمان.

بكاء النبي صلى الله عليه وسلم علي نفس تفلتت من بين يديه دون أن تؤمن به.

عدم دعائه صلى الله عليه وسلم علي من لم يؤمن به لعل الله يخرج من أصلابهم أن يقولوا لا إله إلا الله كما حدث مع الوليد بن المغيرة وهو مشرك يخرج منه سيف الله المسلول خالد بن الوليد والأمثلة كثيرة.

رعي الغنم يعطي الفرصة علي التأمل في مظاهر الطبيعة ونظام الكون قدرة الخلاق جل وعلا.

وبالرغم من أن الأنبياء قاموا برعي الغنم إلا أن الله جعلهم قادة للشعوب والأمم.

وبالرغم من أنهم رعاة للغنم، إلا أنهم أفضل خلق الله وأخرج الله بهم الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان

إلى نور العدل والإسلام.

نظرات في صلاتي الكسوف والخسوف

تمر البلاد أحياناً بحالة تؤدي إلى خسوف القمر كلياً أو جزئياً وإلي كسوف الشمس كذلك مما يجعل الكثير من الناس يتساءل عن السبب في ذلك؟؟ وما الذي يجب علي المسلم؟؟ وما هي الكيفية التي تؤدي لمثل هذا الأمر؟ هذه التساؤلات وغيرها دارت في مخيلة كثير من الناس مما جعلنا نتحدث عن صلاتي الكسوف والخسوف - ولم لا - حيث يقول ربنا في سورة النمل:{أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾} [النمل: ٦٢].

أي من الذي يجيب المكروه ويدفع عنه الضر والبلاء ويجعلكم سكان الأرض تعمرونها فما أقل تذكركم فالكون وما فيه إنما هو ملك لله فالليل والشمس والقمر والنهار من آيات الله والكل مطالب بالسجود لله قال جل شأنه:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾} [فصلت: ٣٧].

فكل مخلوق من هذه المخلوقات له وظيفته في هذا الكون كما أمره الله بها، قال تعالى:{وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾} [يس: ٣٧ - ٤٠].

والمعني إن في ذلك علامة علي قدرة الله في التبادل بين الليل

والنهار والشمس والقمر حتى إذا ما كان يوم القيامة تنقطع الشمس وتسجد تحت عرش الرحمن والقمر له منازله وهي ثمانية وعشرون منزلاً في ثمانية وعشرين ليلة والعرجون كغصن النخل اليابس.

معني الكسوف:

المراد بالكسوف في نظر الفقهاء هو كسوف الشمس ويقال: (انكسفت) لورود الحديث بذلك ويقال أيضا: (كسفت)، وهو نادر.

وكسوف الشمس هو ميلها إلى السواد بسبب حيلولة القمر بينها وبين الأرض.

معني الخسوف:

ذهاب ضوؤه أو بعضه، بسبب حيلولة الأرض بينه وبين الشمس وإذا قرأت قول الله تعالى في سورة القيامة:{وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ} [القيامة: ٨] فإنه يقصد بها أحد أمرين.

الأول: أن يقال: خسف القمر ولا يقال: كسف، وإذا اختص القمر بالخسوف فإنه يشعر اختصاص الشمس بالكسوف.

الثاني: أن يكون أراد أن الذي يتفق للشمس كالذي يتفق للقمر وقد سمي في القرآن كذلك فكذلك الشمس.

حكمها: فالجمهور يقول علي أنها سنة مؤكدة، خلافا لأبي حنيفة وأبي عوانة أنهما قالا بوجوبها.

ما يستحب لها: فقد ذكر الفقهاء لصلاة الكسوف والخسوف كيفيات متعددة تبعاً للروايات الواردة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن عندما يحدث هذا الأمر يجب علي كل مسلم أن يفزع

وأن يهرع إلى الصلاة.

لما رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلي عند كسوف الشمس. ثم قال:"**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنه آيتان من آيات الله يريهما عبادة. فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة-**.

ولنعلم أنه ليس لصلاة الكسوف آذان ولا إقامة ولكن يستحب أن يقال: (الصلاة جامعة).

لما رواه أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها ولقول ابن عمر: (وكسفت الشمس فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فنادي إن الصلاة جامعة).

ويستحب أن تكون في جماعة في المسجد لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يتيسر جاز أن تصليها وحدك.

يستحب للإمام (عند الشافعية) أن يخطب في الناس بعد الصلاة كخطبة الجمعة يعظهم ويذكرهم خلافاً للمالكية والحنفية والحنابلة في عدم استحباب الخطبة، وإنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك للرد علي من قال: إن الشمس انكسفت لموت إبراهيم.

يري المالكية و الحنفية: أن الجماعة في صلاة الخسوف غير مستحبة لعدم ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق صحيح ولوجود المشقة بخلاف صلاة الكسوف؟

قيل: يستحب الإسرار في صلاة الكسوف والجهر في الخسوف ولكن قال ابن العربي الجهر أولي لأنه صلاة جامعة ينادي لها ويخطب فأشبهت العيد.

كيفيتها:

الأولى: أنها تصلي ركعتين كسائر النوافل. إلا أنها ينبغي فيها تطويل القراءة والركوع والسجود.

لما أخرجه أحمد والنسائي من حديث قبيصة الهلالي قال: انكسفت الشمس، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلي ركعتين، فأطال فيهما القراءة. فانجلت. فقال:"**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فصلوا كأحدث صلاة صليتموها من المكتوبة**"، وقد قال ذلك بعد صلاة الصبح.

وبهذه الكيفية أخذ الحنفية وكثير من الفقهاء، علي اختلاف مذاهبهم.

الثانية: أن تصلي ركعتين، في كل ركعة ركوعان. كما روي البخاري من حديث أبي بكرة قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكسفت الشمس، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى دخل المسجد، فدخلنا فصلي بنا ركعتين حتى انجلت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم :"**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد فإذا رأيتموهما فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم**-.

استدل بقوله (يجر رداءه) علي أن جر الثوب لا يذم إلا ممن قصد به الخيلاء ويستفاد من قوله فصلي بنا ركعتين (زاد النسائي) كما تصلون كصلاة النافل.

ويستفاد من قوله: حتى انجلت استدل به علي إطالة الصلاة حتى يقع الانجلاء وأجاب الطحاوي بأنه قال فيه: (فصلوا وادعوا) فدل

علي أنه إن سلم من الصلاة قبل الانجلاء يتشاغل بالدعاء حتى تنجلي.

قال (ابن دقيق العيد): جاز أن يكون الدعاء ممتداً إلى غاية الانجلاء بعد الصلاة فيصير غاية للمجموع ولا يلزم منه تطويل الصلاة ولا تكريرها.

أما ما موقع عند النسائي من حديث النعمان بن بشير قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يصلي ركعتين ركعتين ويسأل عنها حتى انجلت.

احتمل أن يكون معني قوله ركعتين أي ركوعين وقد وقع التعبير عن الركوع بالركعة في حديث الحسن (خسف القمر وابن عباس بالبصرة فصلي ركعتين من كل ركعة ركعتان).

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :"**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد**- وذلك أن ابنا للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له: إبراهيم، وكان إبراهيم من ماريه القبطية التي أهداها له المقوقس عظيم مصر. وقد ذكر الجمهور من أهل السير أنه مات في السنة العاشرة من الهجرة، فلما مات إبراهيم قال الناس في ذلك: كسفت الشمس لموت إبراهيم ولما صلي النبي صلى الله عليه وسلم وانجلت الشمس قال الناس: إن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء - ليس كذلك.

في هذا الحديث: إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض وكانوا يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه

اعتقاد باطل.

وقوله (آيتان) أي علامتان من علامات الله الدالة على وحدانية الله وعظيم قدرته أو علي تخويف العباد من بأس الله وسطوته ويؤيده قوله: {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩].

وقوله: (فإذا رأيتموهما) أي إذا رأيتم كسوف كل منهما لاستحالة وقوع ذلك فيهما معا في حالة واحدة عادة وإن كان ذلك جائز في القدرة الإلهية.

وقوله (فقوموا فصلوا) يستفاد منه.

أي ادعو إلى الله واطلبوا رحمته وخافوا عذابه لأن الذنوب سبب للبلايا.

أن الجماعة ليست شرطًا فيها وليست مربوطة علي الإمام.

استدل به أنه لا وقت معين لصلاة الكسوف وإنما هي في أي وقت واستثني الحنفية وقت الكراهة، ولكن رجح بأن المقصود في إيقاع هذه العبادة قبل الانجلاء حتى لا يفوت المقصود.

وقوله (ولا لحياته):

فائدة ذكر الحياة دفع توهم من يقول: لا يلزم من نفي كونه سببا للفقد أن لا يكون سببا للإيجاد.

وفي حديث عائشة أنها قالت: (كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وصلي رسول الله بالناس فأقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال

السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثلما فعل في الأولي ثم انصرف وقد انجلت الشمس فخطب الناس، فحمد الله وأثني عليه ثم قال:"**إن الشمس... فإذ رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا**". ثم قال:"**يا أمة محمد والله من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته**".

"**يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً**".

وعند مسلم عن جابر وعائشة: أنه صلي ثلاث ركوعات ومن حديث ابن عباس أربع ركوعات وعند أبي داود والبزار من حديث علي وأبي خمس ركوعات.

وقوله: فأطال القيام أنه قرأ في الركوع الأول نحواً من سورة البقرة أي القيام الأول من الركعة الثانية آل عمران.

وقوله (فخطب الناس).

مشروعية الخطبة للكسوف وأن الانجلاء لا يسقط الخطبة، ولو انجلت أثناءها أتمها كالنوافل أو كهيئتها أما لو انجلت قبل الصلاة تسقط الصلاة والخطبة.

(ما من أحد أغير):

قال ابن فورك ما أحد أكثر زجرا عن الفواحش من الله.

(وتخصيص العبد والأمة) بالذكر لحسن الأدب مع الله لتنزهه عن الزوجة والأهل ويخص الزنا لأنه أقبح المعاصي وأعظمها.

وقوله (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا) لو علمت سعة رحمه الله وما فاتكم، وانتقامه من أهل الإجرام والمقصود بالقلة العدم واستولي عليكم الحزن وأمروا باستدفاع البلاء بالذكر والصدقة

والصلاة.

وفي رواية: (أبي بكرة قوله يخوف بها عباده) قال ابن دقيق العيد: ربما يعتقد البعض أن الذي يذكره أهل الفساد ينافي قوله فلله أفعالاً تجري حسب العادة والعلماء بالله بقوة اعتقادهم يعلمون أن الله يفعل ما يشاء وإذا وقع شئ غريب حدث عندهم الخوف.

قال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم:

إن الله قد أجري العادة بكسوف الشمس لأسباب يعقلها أهل الحساب ولكن هذا لا يعني أنهم يصيبون في كل ما يقولون بل قد يخطئون في حسابهم فلا يصدقون ولا يكذبون التخويف بذلك حاصل علي كل تقدير من يؤمن بالله رب العالمين واليوم الآخر الذي يجمع الله فيه الناس أجمعين).

حكمها: سنة مؤكدة عند الجمهور خلافاً لأبى حنيفة وأبى عوانة، قالا بوجوبها.

كيفيتها: كركعتى السنة ركعتين في كل ركعة ركوعان، عند مسلم جابر وعائشة ثلاث ركوعات (بن عباس) وعند أبى داود والبزار من حديث على وأبى خمس ركوعات.

الانجلاء: لو انجلت الشمس أثناء الصلاة أتمها بهيئتها أو كالنوافل ولا تسقط الخطبة أما لو انجلت قبل الصلاة تسقط الصلاة والخطبة.

لعله بعد هذا البيان يكون قد زال الكسوف عن الشمس والخسوف عن القمر وبذلك تتضح رؤية الشمس والقمر لكل إنسان بعد أن زالت الغشاوة وزال الكسوف والخسوف ويكون قد وضح الأمر وبذلك

تكون الشمس ظهرت كظهورها في وهج النار والقمر في تمامه كليلة البدر.

وصدق الله حيث قال:{وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩].

* * *